الموقف الثانى

الواقعية فى الفكر العربى المعاصر

كان اهتمام الدكتور هويدى بمشكلة الوعى العربى كبيرا، من حيث يقظته والعقبات التى تحول دون وعيه بذاته، وكان اهتمامه بهذه المشكلة مستمرا طوال حياته كلها، ولهذا كان يحرص دائماً على المقارنة بين الوعى العربى وبين الوعى الفلسفى والوعى بالذات عند الفلاسفة فى الغرب وعلى رأسهم هيجل وكانط.

وقد تبنى هويدى اتجاهاً واقعياً جديدا ومتميزا من أجل السعى إلى تحقيق واقع جديد يقوم على أسس واضحة ومحددة ومعروفة،وهى نفس الأسس والمبادىء التى يقوم عليها كل إصلاح وهى الدين والعلم والأخلاق والسياسة واستعداد المجتمع وفاعليته،وهو يرى أن هذه الأسس هى المكون الرئيسى للفلسفة الحيادية أو الإشتراكية التى تتميز بسمات الإيجابية والشمولية والتفاعلية، ولذا كانت الواقعية عنده موقف فلسفى ومنهج واضح ومحدد وطموح فى نفس الوقت.

ويرى الدكتور هويدى أن الوعى العربى المعاصرلابد أن يقوم على عدة أسس أو مكونات فى مقدمتها الأساس الدينى وبيان حقيقة الإيمان، والتمييز بين الإيمان العقلى والإيمان القلبى، ثم الأساس السياسى وبيان حقيقة المشكلات السياسية التى يعانيها العالم العربى وعلى رأسها المشكلة الفلسطينية، ومشكلة الحرية ومشكلة الاستعمار بجميع أشكاله وألوانه، ثم الأساس الاقتصادى عن طريق العمل والانتاج وتحقيق الذات، ثم الأساس الفلسفى والثقافى كمنهج للبناء والإصلاح والتغيير والفهم، على اعتبار أن الوعى الفلسفى المجرد وحده لا يكفى لتحقيق الوعى، ثم الأساس الحضارى بوصفه الإطار الكلى وهو إطار الحضارة العربية الإسلامية والدين الإسلامى معاً ممتزجين.[٧]

---

٧. يحيى هويدى: المحاضرة الأولى، تمهيدى ماجيستير، يناير ١٩٨١.

ومراراً يؤكد الدكتور هويدى على أن الوعى العربى ليس مجرد تفكير نظرى أو ذهنى، أو مجرد مشكلة أو قضية هدفها الوصول إلى مستوى معين من التفكير؛ لأن الوعى فى حقيقته هو سعى إلى التفكير الكلى واعتبار أن دنيا الواقع هى دنيا العمل والسلوك.

ويستقرئ هويدى باقتدار حركة الوعى العربى فى إطار القومية العربية فى أبعادها السياسية والدينية والاجتماعية، محدداً الهدف العام من الدراسة والمنهج فى نفس الوقت عندما يقول لتلاميذه: هيا بنا إلى العمل، هيا بنا من أجل بناء الواقع والإنسان، لأن الوعى العربى لا ينتج إلا عن التأمل وسط الناس ووسط الأحداث.

كما حرص هويدى على أن تكون الواقعية الديالكتيكية محوراً لحركة الفكروالثقافة العربية، وبحيث يكون البعد العربى الإسلامى فى واقعيته وحركته من المباشر إلى التعميق، أى إلى الواقع الحقيقى العميق الذى يتمثل فى الجوهر وليس فى الظاهر الحسى، ومن التفكير إلى التفكر، ومن التأمل والتخيل إلى التنفيذ، لأن بناء الواقعية وتعميق الواقع لا يكون إلا بالفكر والتفكر فى آيات الله وفى القرآن الكريم.

أولاً: مفهوم الوعى

يأخذ الوعى عند هويدى العديد من المفاهيم : فهو فكرة أو قضية للتفكير أو فلسفة عامة للحياة،أو نوع من التفكير الكلى البعيد عن الحياة اليومية المباشرة. فالوعى عنده هو اليقظة والشعور بالقومية والانتماء، وبالتالى فهو ليس مجرد تفكير أو مجموعة من العمليات العقلية العليا التى يمتلك بها الإنسان ذاته، وذلك لأن هذه العمليات ليست تأملاً باطنياً.

ومع ذلك يقول هويدى: أن الوعى هو نوع من الاستغراق أو التأمل الباطنى، أو هو الانفصال عن الذات، وهذا المعنى يسمى بالفهم السيكولوجى للوعى. فالوعى عنده هو الوعى بالذات وليس مجرد التفكير النظرى أو التأمل العقلى، ولذا يشترط هويدى أن تكون الخطوة الأولى لتحقيق الوعى بالذات هو رفض المباشر من أجل التفكير الكلى؛ لأن التفكير الكلى مهمته التفكير فى إنسانية الإنسان، وتكوين الرأى العام للأمة على هذا الوعى الجمعى أو الوعى بالذات، ومعنى ذلك عند هويدى أن القضايا الجزئية سواء

سياسية أو اجتماعية أو إسلامية لا يجب الوقوف عندها فقط لأنها ليست قضايا فلسفية، مع ملاحظة أن الانتماء للكلى ليس وهماً وليس خيالاً ولكنه عين الوعى.

وفى هذا الإطار ينتقد هويدى كانط ويرى أنه حاول تأسيس الوعى على العلم، لأن الوعى لا يؤسس فقط على العلم بل على مقدار الاقتناع بنتائج العلم، فالوعى يؤسس على العلم والاقتناع بنتائجه معا. وفى هذا الإطار يقول هويدى: إن الشئ فى ذاته هو الواقع الحقيقى الذى نريد الوصول إليه، وأن العلم لا يؤسس الوعى لأن مهمة العلم كسلاح وأداة لصقل شخصية الإنسان ونقلنا إلى واقع آخر ولكنه ليس هو كل شئ.

والوعى الحقيقى عند هويدى هو الوعى الإنسانى أو الوعى بالذات الذى يتألف من إنسان شامل كموجود متكامل ومتفاعل مع خارج، ولا ينفى هويدى أن يكون الخيال والتأمل والرغبة من أهم مكونات هذا الوعى، وفى هذا المعنى يأتى قول أستاذنا : بأن الوعى ليس هو العقل أو الذهن؛ لأن الذهن قوة أووحدة للفهم، وأيضاً فالوعى ليس هو التفكير العلمى لأن التفكير العلمى يكون بمثابة محطة وهمية؛ ولذا فالوعى الحقيقى هو الوعى الإنسانى أو الوعى الكلى، ومثاله وعى الشعوب، فوعى الشعوب يحتاج إلى الفعل ويحتاج إلى الحس ولا يحتاج إلى مجرد العلم أوالمعرفة أو وجود العالم نفسه.

والوعى بالذات عند أستاذنا ليس مجرد إنعكاس الفكر على نفسه، لأن الوعى الحقيقى يبدأ من لحظة شعور الإنسان برغبة فى داخله، رغبة فى الوجود وإثباته، ورغبة فى تحقيق الذات بالفعل وتحقيق المكانة، فالوعى إذن ليس مجرد فكرة، بل هو الوجود الحقيقى لأن الوجود ليس شيئاً ثابتاً بل أفق يحيط بالفرد، أفق من المطاط، والفلسفة الحقيقية هى علم الوجود وليست هى علم المعرفة؛ ولذا نقول بأن الفلسفة ليست مجرد محبة الحكمة بل هى الشوق والرغبة للحكمة لأنه لا بد من المعاناة فى سبيلها ومن أجلها فهى رغبة تتحقق بالفعل.[٨]

---

٨. يحيى هويدى: المحاضرة الثالثة، تمهيدى ماجيستير، فبراير ١٩٨١.

ولعل هذا المعنى هو الذى يؤكد قول هويدى بأن الوعى الحقيقى هو الإدراك الكلى، وأنه الوعى العميق وأنه الوعى بالذات، وأنه الوعى الفلسفى الذى يهتم بالإنسان وحياته ومصيره ومستقبله وكيانه العام فى الإطار الإنسانى.

لذلك كان الوعى بالذات عند هويدى مرحلة وخطوة لازمة لإثبات الوجود والشعور بالذات من خلال المعايشة والتأمل، ولهذا ذهب هويدى إلى القول بأن قمة الواقعية فى الفكر والسلوك عندما يتحول الفكر إلى وعى، وأن التفكير البشرى فى حقيقته جملة من الترجيعات أى أنه يرجع إلى نفسه ويقوم على مراجعة الذات باستمرار، وأن الإنسان لا يرجع إلى نفسه من أجل ذاته بل ليحكم عليها ويقوِّم نفسه وعندئذٍ يتحقق الوعى بالذات عندما تتحقق سمة المعيارية فى الفكر؛ لأن التفكير الإنسانى معيارى فى أساسه، وأن التفكير الواعى مسئولية كل إنسان.

ولأن الوعى ليس كلمة وليس فكرة أو مجرد رغبة، حرص هويدى إلى تحديد الخطوات التى يمر بها التفكير ليتحول إلى وعى ويقول: إن الوعى قائم على خطوتين الأولى: الحركة أو النشاط القائم الصادر فى الخارج عنى كإنسان، والثانية: هى مراجعة النفس لهذا العمل أو التقويم؛ لأن الوعى قائم على التفكر وليس على التفكير.[٩]

ثانياً: خطوات تحقيق الوعى العربى عند هويدى.

(أ) بناء الذات العارفة: ومقصود الذات عند هويدى هى الأنا المفكرة العاقلة والمتفاعلة مع محيطها الإجتماعى فى نفس الوقت، فالذوات العارفة عند هويدى تتألف من المادة والصورة، والمجتمع ليس عقل فقط، ولكنه ظروف أيضاً. فالأنا أو الذات عضو فى مملكة العقلاء،فأنا ابن التجربة الممكنة وابن الفردية، ومن صنع العقل، ومعنى ذلك عند هويدى أن الوعى مرتبط بالذات والشعور بالأنا. فبناء الذات العارفة يكون على الوعى بحقيقة النفس ومتطلباتها، فالوعى هو الاتجاه الذى يعبر عن الإنسان المعاصر، وقضية الوعى هى الأساس فى التفكير الذى نبحث عنه؛ ولذا يضع هويدى التساؤل عن مهمة الذات ووظيفتها بقوله: هل مهمة الذات العارفة هى مجرد

---

٩. يحيى هويدى: المحاضرة الرابعة، تمهيدى ماجيستير، مارس ١٩٨٢.

المعرفة؟ وهل تستطيع هذه الذات أن تتعدى دائرة الوجود؟ وفى هذا المعنى يأتى قول الدكتور هويدى: إننا جميعاً نتطلع إلى مستقبل أفضل، ولكن ليس على حساب الفرد أو الذات وليس على حساب الحاضر.

(ب) التأمل وسط الحياة: التأمل عند هويدى منهج تدريجى أو ديالكتيكى يبدأ من الذات ثم الموضوع ثم يعود مرة أخرى الى الذات،فى حركة ديالكتيكية دائمة، وذلك لأن الوعى نوع من التفكير العلمى القائم على التأمل كنشاط عقلى، وأن المنهج عند الفيلسوف هو الحيلة التى يلجأ إليها من أجل تحقيق النظر أو التأمل، وليس معنى ذلك أن التأمل نوع من العزلة أو التعالى، بل هو حيلة من أجل الابتعاد عن الحياة اليومية وتوترتها، ولكى اتجه بتفكيرى إلى اتجاه كلى حيث أتأمل المشاكل المصيرية التى تشكل الوجود الإنسانى، ومعروف أن التأمل تفكير فلسفى كلى وليس فردى أو شخصى وفى نفس الوقت هو التجربة الشخصية العميقة التى لا تحصره فى نطاق ذاته بل تجعله يتطلع إلى أفق كلى مصيرى، أى الكلى الواقعى وليس التجريدى.[١٠]

والفلسفة عند الدكتور هويدى تحض على التأمل كمنهج تدريجى، كما تحض على التأمل العقلى فى الواقع؛ لأن التأمل لايكون إلا وسط الناس ووسط الأحداث، وهذا التأمل عنده ليس هو التجريد والعزلة وفى نفس الوقت ليس هو الممارسة العملية، لأن التأمل المقصود هو حلقة الوصل بين النظرية والتطبيق فى مجال الوعى.

وفى هذا الإطار ينتقد هويدى التأمل العقلى عند أفلاطون لأنه مجرد ممارسة عقلية أو تأمل محض وابتعاد عن الواقع، وفى نفس الوقت يعلى من قيمة التأمل العملى أو الواقعى كخطوة سابقة على الفعل، أو بوصفه ممارسة عملية أخلاقية أو ممارسة للفعل أوخطوة لازمة وممهدة له، وبالتالى فإن هذا التأمل هو التفكير العملى كخطوة لازمة بين البشر والأحداث، ولهذا فإن التجارب السلبية تدفع أكثر إلى التأمل العقلى وإنارة الفكر، كما أن الفشل تجربة أساسية ودافعة إلى التأمل أيضاً.

والتأمل عند هويدى منهج تدريجى أيضا يبدأ بالرغبة فى الشئ، والرغبة فى تحقيق الذات ثم بالتأمل المعنوى، ثم بالتأمل المادى أو العملى ثم

---

١٠. يحيى هويدى: المحاضرة الرابعة تمهيدى ماجيستير، ١٩٨١.

التأمل الجزئى أو المرحلى حتى الوصول إلى دنيا الأشياء كلها، ثم الانتقال إلى دنيا الأشخاص، وفى هذه الخطوة لا بد أن تلتقى الذات بالذات الأخرى لتتحقق فيها. ويرى الدكتور هويدى أن هذا التأمل العملى عبر هذه الخطوات يجب أن تنمحى فيه التفرقة بين النظر والعمل.

(ج) الرغبة: والرغبة عند هويدى كخطوة لازمة لتحقيق الوعى، هى الرغبة الممكنة التحقيق بالفعل وبالعمل فى دنيا الأفعال. وهو نفس المعنى الذى قدمه هيجل للرغبة كموضوع للوعى بالذات، إنها الرغبة فى تحقيق الذات وتحقيق الوجود الفاعل والمؤثر، إنه الوجود الذى له قيمة حقيقية وليس مجرد الرغبة فى الحياة أو مجرد استمرار الحياة. والرغبة عنده تحمل معنى الإيثار والشوق والحنين إلى الوجود، إنها الرغبة الداعية، أى المحفزة الناشئة عن الخيال المبدع والتى سبقها التأمل والتفكير، إنها الوعى الذى يبعدنا عن أرضية الواقع المادى أو الموقف الطبيعى الذى يبعدنا عن الحياة الجارية الرتيبة حيث يتبلد الشعور. ومعنى ذلك أن الوعى لا ينهض إلا إذا كان عندنا خيال كاف مبدع ورغبة حقيقية تدعمها الإرادة.

والرغبة عند هويدى متعلقة بالوجود والواقع الحقيقى أكثر من ارتباطها بالفكر والتصور، فالرغبة هى المحرك الحقيقى للوجود والاندماج فى هذا الوجود، وأن الرغبة ليست هى الفكرة بل هى محور الوجود. وعلى ذلك يختلف الوعى عن مجرد الرغبة فى المعرفة أو مجرد الاستطلاع أو حب المعرفة، إذ أن هذا الحب أو الرغبة لا شأن له ببنية المجتمع.

(د) التدين: يرى هويدى أن القرآن الكريم فى حقيقته دعوة إلى الوعى، لأنه ليس فيه تفكير فقط بل فيه تفكر، وعظة واعتبار وتأمل وعمل، ولكى يصبح للإنسان وعى حقيقى وليس مجرد تفكير، فالوعى بالدين وعى بآثاره ومقاصده ومفاهيمه وقضاياه وفى مقدمتها مشكلة الخلق وواحدية الله المنزه عن جميع المخلوقات.

والدين عند هويدى يأخذ معنى أوسع من مجرد العقائد والعبادات والمعاملات، فالدين عنده هو الحضارة العربية الإسلامية بجميع مقوماتها؛ لأن الدين لا بد أن يؤخذ من منظور أو منطلق واقعى، ولأن الإسلام حضارة كاملة فهو لم يعالج مشكلة الخلق أو الوجود فقط بل تناول جميع القضايا

المتعلقة بالوجود الطبيعى والإلهى والبشرى، والإيمان بجميع أركانه وأشكاله،والجمع بين الإيمان العقلى والإيمان القلبى.

ولقد تناول هويدى الأساس الدينى وعلاقته بالوعى العربى المعاصر من خلال بيان حقيقة الإيمان العقلى والقلبى المؤدى إلى اليقين، على اعتبار أن اليقين الدينى أكثر ثراءً وصدقاً من مجرد معالجة المشكلات بطريقة نظرية بحتة بعيدة عن الواقع الإيمانى، ومثال ذلك الاهتمام بمشكلة البرهنة على وجود الله، فهو يعتبر أن هذا الاهتمام لا يحقق الوعى الإيمانى المطلوب لأن الوجود الإلهى ليس مشكلة، وبالتالى رفض هويدى فكرة البرهنة على وجود الله لأنه لم يكن هناك من أنكر الوجود الإلهى حتى فى الفكر اليونانى لم ينكروا الوجود الإلهى، وما يقال فى ذلك يمكن قوله فى مشكلة الخلق والحدوث التى أضاع فلاسفة الإسلام فى معالجتها الوقت والجهد فى الاستدلالات العقلية على وجود الله، ولو تفكروا فى جدوى ذلك لتمكنوا من التمييز بين الإيمان العقلى والقلبى على اعتبار أن الإيمان العقلى القائم على البرهان والدليل العقلى ليس هو الإيمان المطلوب لأنه لا يجدى، أما الإيمان القلبى الذى يحقق اليقين الدينى فى حقيقته هو الأكثر ثراءً وصدقاً.[١١]

ودليل ذلك عند هويدى أن التفكيربمعنى التأمل الواعى والتفكر فى آيات القرآن وما بها من آيات كونية هو الذى يخلق الوعى؛ ولذلك فإن هذا الوعى ليس هو التفكير الذهنى، وليس مجرد التفكير النظرى فى الآيات بمعنى التأمل والتفكر المجرد فذلك وحده لا يكفى، بل لا بد من إنعكاس الآيات جميعها حتى الكونية منها على نفسك، ولعل هذا المعنى هو الذى أشار إليه ابن تيمية فى قوله بأن السنن جميعها سنن بشرية بما فيها السنن الكونية فجميعها سنن بشرية، وهذا المعنى تؤكده الآيات القرآنية نفسها فى قوله تعالى قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق" العنكبوت ٢٠،وقوله تعالى: "إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك". آل عمران ١٩١.

(هـ) اليقظة: بمعنى الحركة والإنتباه والتحفز، وهى عند هويدى تعنى الإنتباه الواعى،وتحرك الروح الباطنى، وهى ابتداء الموقف الفلسفى الأصيل، ولهذا

---

١١. يحيى هويدى: المحاضرة الخامسة تمهيدى ماجيستير، مارس ١٩٨١.

فهى الأساس فى عودة الروح العربية، وهذه الخطوة تتطلب الحركة الدائبة الواعية، إذ الوعى لا يقوم إلا على الروح، وروح الوعى الفكر والتأمل والعمل، وفى هذا المعنى يقول: يجب ألا يكتفى بتأسيس الوعى على العلم أو التكنولوجيا، بل يجب أن تستيقظ الروح أولاً، إذ لا وعى مع ثباتها.

فاليقظة عند هويدى نوع من الانتباه أو الموقف المحرك أو المتحرك،وهى من أفضل وأهم مكونات الوعى، لأن الوعى يحتاج إلى يقظة كما يحتاج إلى الفعل والتجربة. والتجربة هنا ليست هى التجربة الحسية الساذجة كما كانت عند فردريك انجلز وباركلى وهيوم، كما أنها ليست التجربة العقلية أو المعتدلة عند كانط. إنها التجربة التى تخطت هذا النوع بين العقليين والحسيين، إنها تجربة الإنسان الشامل، إنها التجربة الحية المعاشة؛ لأن الوجود الحقيقى هو الوجود الكلى القائم على الحب والمعايشة، إنه الوجود الواعى. وانتهى هويدى إلى حقيقة مؤكدة هى أن يقظة الوعى العربى ممكنة وسهلة التحقيق، بل حتمية و ستتم على أساس وعى أخلاقى وعلمى ودينى معا.[١٢]

ثالثاً: العلاقة بين الوعى العربى والوعى الغربى المعاصر.

فى عصرنا الآن وهو عصر العولمة الثقافية والتواصل اللامحدود، لا نستطيع بحال الفصل بين حركة الوعى العربى وحركة الوعى الغربى، وفى نفس الوقت لا نستطيع أن نوحد بينهما أو أن يكون الارتباط شاملاً؛ لأن المنطلقات والمكونات لهذا الوعى تختلف عن الآخر. فالوعى وليد حركة الذات ومعايشة المشكلات، كما أن الوعى العربى قائم على الإيمان والمحبة، أما الوعى الغربى فقائم على المعرفة والعلم ومنطق المنفعة فقط.

يقول هويدى فى مقدمة المحاضرة الثانية من محاضرات السنة التمهيدية للماجستير بآداب القاهرة: منذ خمس سنوات أو يزيد (يقصد عام ١٩٧٥) تعرضنا فى محاضرات سابقة عالجنا فيها أصول الوعى العربى من الناحية التاريخية، واليوم وبعد مرور خمس سنوات نحاول معالجة الأصول الفلسفية لقضية الوعى العربى وكيف نستفيد من هذه الأصول؛ لأن دراسة

---

١٢. يحيى هويدى: المحاضرة الثالثة تمهيدى ماجيستير، فبراير ١٩٨١.

الوعى لا تكون إلا من خلال تلك النظرة الفلسفية الشاملة للفلاسفة المعاصرين خاصة فلاسفة الوعى بعد برجسون.[١٣]

وقبل الحديث عن الوعى العربى وعلاقته بالوعى الغربى والتمييز بينهما، طرح الدكتور هويدى التساؤل التالى: ما هى الأسس التى يستيقظ على أساسها الوعى الأخلاقى الدينى؛ وذلك لبيان علة ووجه التمييز بين الوعى العلمى والمعرفى أوالتأملى فى الغرب،وبين الوعى الإيمانى القائم على أساس الأخلاق والتدين عند العرب، مؤكداً على أن جوهر الأخلاق الإلتزام بجميع الواجبات فيما ينبغى أن يكون، وفى التزام الإنسان بالتعاليم والفضائل التى تعلى من شأنه ويحقق بها ذاته.

وقد حرص هويدى على بيان هذه العلاقة من خلال التعرض لمفهوم الوعى عند هيجل وكانط ومدى ارتباط هذا المفهوم بالواقع والتجربة. فعند كانط لا بد من التمييز بين الذهن والعقل، وأن مهمة الذات منحصرة فى دائرة الشئ فى ذاته وهى دائرة الواقع، وأن مهمة الوعى معرفة الوجود ووضع الحدود. وليس معنى ذلك كما يقول هويدى: أن فلسفة كانط ليست فى فلسفة الوجود ولكنها فلسفة فى معرفة الوجود فهى فى فلسفة المعرفة والتى تتكون من عناصر ثلاثة هى الشعور والذات والموضوع.

وبما أن التجربة عند كانط هى التجربة الممكنة فقط بمعنى التجربة النظرية؛ فذلك لأن عالم الممكن عنده أغنى من عالم الواقع "المادة" لأن عالم الممكن عالم لا حدود له وبالتالى فهو أكثر اتساعاً من الواقع، ومهمة العقل عنده تجهيز الإطارات العقلية أو المقولات، ولهذا انتصر كانط للذهن ضد حتمية الطبيعة وقيودها، فالطبيعة والمجتمع كذلك يمثلان قيوداً حقيقية لانطلاق الفكر. ولعل ذلك ما دفع كانط لوصف مملكة العقل بأنها مملكة الحرية وأنها مملكة التفكير أو الذهن ومملكة الخيال. وعلى عكس كانط جاءت فكرة الوعى عند هيجل، فالوعى عنده باطن فى التجربة، أى التجربة التاريخية والإنسانية والثقافية؛ لأن هذه التجربة هى الموضوع الذى يحمل بصمات الإنسانية، وكذلك فإن التجربة عند هيجل ليست هى التجربة العقلية كما كانت عند كانط.

---

١٣. يحيى هويدى: المحاضرة الثانية تمهيدى ماجيستير، يناير ١٩٨١.

ومعنى ذلك أن الوعى عند هيجل مرتبط بالواقع، والواقع عنده هو الكلى، وليس هو المباشر المائع أو الزائف، مع ملاحظة أن الوعى الفلسفى هو إدراك كلى والإدراك الكلى هو الإدراك الواقعى، لأن التفكير الاستراتيجى الكلى ليس مثالى، والواقع لكلى هو واقع الروابط والعلاقات والأشخاص فى محيط كلى.

هذا بالإضافة إلى أن العمل عند هيجل هو الذى يخلق الوعى لأن العمل نوع من التفاعل والمشاركة أى أنه التقاء وعى بوعى آخر، مع ملاحظة أن العمل وحده ليس كافياً بخلق لوعى الحقيقى وهو الوعى بالذات الذى يتحقق عند النجاح المتحقق عن طريق العمل؛ وهذا النجاح نتيجة عمليات ومراحل من التفاهم والتعاون والمحبة داخل هذا العالم الإنسانى.

ويرى الدكتور هويدى أن معنى الوعى بالذات عند هيجل لا يتم ولا يتحقق إلا عندما أقوم بعمل معين وتحقيق رغبة مؤكدة للذات، لأن الوعى عند هيجل مرتبط بالفعل وبالواقع وهذا هو التأمل العملى الخالق للوعى.

أما الوعى العربى وإن كان يميز بين اليقين العقلى واليقين القلبى فإن الوعى بالذات عنده لا يتحقق إلا من خلال اليقين القلبى أو الإيمان القلبى، وهنا يميز هويدى بين المعرفة والوجود واليقين، فالمعرفة شئ والوجود شئ آخر، واليقين شئ ثالث. وعلى ذلك يمكن التمييز والمقارنة بين اليقين العلمى واليقين الدينى، على اعتبار أن اليقين العلمى هو الذى يجعل الأشياء معروفة وأن العلم يقدم لنا جزءاً من اليقين وأن اليقين الحقيقى لا بد أن يمر بى أنا كإنسان، ليس كعقل أو ذهن، وبالتالى فيقين العلم لا يقتضى ولا يتخذ منه كعقيدة، أما اليقين الدينى فهو الذى يصل إلى حقيقة النفس وهو الذى يوصلك إلى الله.

ويرى هويدى أن الوجود الإلهى والوجود الطبيعى كلاهما ليسا فكرة أو تصور؛ لأن الوجود الإلهى ليس تصوراً ويجب ان يظل فى دائرة أكبر، وبالتالى فلا يرضى الإنسان المؤمن أن يحول الوجود الإلهى إلى فكرة أو تصور ذهنى، إذ الوجود ليس هو الطبيعة أو الكون.

ويميز هويدى بين الوعى العربى القائم على الرغبة والمحبة ومشاعر الترابط والتفكير فى الواقع ومعايشته وبين الوعى فى الفكر الغربى

بوصفه نوع من التفكير الموضوعى أو التفكير العلمى، ويقول فى ذلك أن التفكير العلمى الموضوعى عند مادينيه يتحقق فقط من خلال الموضوع القائم فى الخارج وبالتالى فلا مسئولية فيه اللهم إلا الرغبة فى الاستطلاع وحب المعرفة،وأن هذا الحب لا شأن له ببنية المجتمع، وأن المعرفة من أجل المعرفة كذلك ليس فيها أية مسئولية وبالتالى فإن الرغبة فى المعرفة تختلف عن الحب الذى يؤلف بين الناس ويقيم بنية المجتمع على أساس من الوحدة الأخلاقية.

ولعل هذا التمييز بين الوعى العربى والغربى، وبين اليقين القلبى والعقلى وراء موقف هويدى النقدى من الفلسفة الوجودية وزعيمها سورين كيركجورد حين رأى أن الوجودية قد آثرت الابتعاد عن الكوجيتو المعرفى الذى يستأثر بالإنسان العارف أو الباحث عن الحقيقة، وقدموا هم من جانبهم ما أطلقوا عليه اسم الكوجيتو السابق على التفكير، من أجل أن يقتربوا من الحياة التلقائية التى يجد فيها الإنسان ذاته على نحو أفضل. ولعل ذلك وراء موقف كيركجورد من الكوجيتو الديكارتى ومعارضته له. فقد عارض كوجيتو ديكارت: أنا أفكر إذاً أنا موجود. بقوله: كلما فكرت قلّ إحساسى أو شعورى بوجودى.

ويرى هويدى أن الوعى الغربى منقسم على نفسه بين فريقين، أحدهما يرى الوعى فى التفكير التأملى كما هو عند الفيلسوف الفرنسى مادينيه، والآخر يراه فى تجربة الحياة الشعورية كما هو عند برجسون وفلاسفة الوجودية التى ترى الوعى فى التفكير الذى يعود من تلك التجربة الشعورية إلى الذات مرة أخرى ليحكم وليقوم ما حققته الذات من أفعال.[١٤]

ولبيان حقيقة موقف الفكر الغربى من إشكالية الوعى بالذات يلجأ هويدى إلى تحليل مفهوم التفكير التأملى عند مادينيه ويقول فى ذلك: التفكير التأملى عند مادينيه له مفهوم أو طراز خاص إنه ليس تفكير علمى من خلال الموضوع، وليس هو التأمل الباطنى الذى يتخذ فيه الإنسان ذاته موضوعاً لاستبطان عقلى محض، وهذا يعنى أن التفكير عند مادينيه أخلاقى

---

١٤. يحيى هويدى محاضرات الوعى العربى المعاصر، تمهيدى ماجيستير، مارس ١٩٨٢.

بالضرورة لأنه ينشأ عن طريق إزدواج الإنسان أو شعوره بهذا الإزدواج ثم يسعى الإنسان إلى توجيه نفسه بعد هذا الإزدواج، أما إقبالى على الأشياء بهدف معرفتها فهو سير بالتفكير فى اتجاه الأشياء وبالتالى فإنه لا يميز التفكير البشرى على الخصوص لأن أهم ما يميز التفكير البشرى هو ذلك الإزدواج، حيث ينشطر الإنسان إلى نصفين أحدهما فى الفعل الذى صدر عنه، والثانى يتمثل فى الذات التقويمية التى تتخذ من نفسها معياراً على الفعل؛ ومعنى ذلك لا بد للإنسان بعد الإزدواج من أن يسعى إلى الوحدة من جديد، ويقوم بعملية التقويم للذات حيث يرى أن الفعل الذى قام به ليس ما ينبغى أو كما ينبغى أو أنه كان أقل مما كان يريد.

ويرى هويدى أن التفكيرالتأملى المعبر عن الوعى بالذات عند مادينيه قادر على تحويل الأشياء الخارجية من مجرد موضوعات للمعرفة أو التفكير الحيوانى على حد تعبيره ليصبح إرشادات أو رموز توقظ روح الإنسان وتكون قادرة فى هذه الحالة على إيجاد نوع من المراجعة الذاتية أو التقويم الذاتى من أجل يقظة الوعى.

ويفسر هويدى ذلك من خلال مفهوم التفكير البشرى عند مادينيه بوصفه مزيج بين العدم والوجود، وأنه يتميز عن التأمل الموضوعى أو التفكير العلمى الذى لا يشعر الإنسان فيه بأنه أمام ثغرة أو عدم، بل يشعر فقط بأنه وراء موضوع يفلت من قبضته وهو دائم العدو أو الجرى وراءه.

ومعنى ذلك أنه من أجل يقظة الوعى لا بد من حدوث المفارقة أو الإزدواج من جانب الإنسان لذاته، وأنه يسعى بعد الانشطار من تحقيق نوع من التعادل بينه وبين نفسه، وهذا معنى القول بأن اكتساب الوعى يكون بعد الإحساس بوجود ثغرة فى نفسه، ثم أنه كان على وعى تام بوجود هذه الثغرة ثم أنه سعى إلى ملئها لأنه أدرك أن هذه الثغرة تعنى العدم والملأ يعنى الوجود.

كما ينتقد هويدى موقف الوجودية التى تعتبر الوعى الذاتى هو التفكير العلمى الموضوعى نفسه من خلال موقف مادينيه من التفكير التأملى وموقفه من الوجودية بوجه عام فيقول: إن البحث عن الحقيقة أو المعرفة بوجه عام لا يؤدى إلى الإزدواج فى النفس البشرية ولا يضع أمامه كهدف العودة من ذلك الإزدواج إلى الوحدة أوالمصالحة مع النفس؛ وذلك لأن

التفكير العلمى الموضوعى لا يخلق وعياً وهو لا يستحق حتى أن يوصف بأنه تفكير إنسانى، أما التفكير الإنسانى الذى يخلق الوعى لا بد أن يكون قائماً على تلك التجربة الأخلاقية الروحية التى يشعر الإنسان فيها بوجود ثغرة ثم يسعى بعد هذا الشعور إلى ملئ هذه الفجوة أو الثغرة عن طريق الأحكام المعيارية أو التقييم الذاتى وإصدار أحكام معيارية على ما يصدر عنه من أفعال.

ومعنى ذلك عند هويدى أن التفكير العلمى شئ والتفكير الأخلاقى شئ آخر؛ لأن التفكير العلمى تفكير إنسياقى ينساق فى اتجاه الأشياء ولا يتوقف إلا عندما يجد فى طريقه عقبة ما تتمثل فى واقعة ما أو مجموعة من الوقائع لم تتضح بعد العلاقات القائمة بينهما. أما التفكير الأخلاقى فلعل أول لحظة فيه هى لحظة الصدمة أو المباغتة، وهى لحظة الانتباه الحقيقى، حيث يبدأ الفرد بالتوقف فى محطة صدمة تهزه من الداخل وتوقظه من ثباته فيتوقف عن الإنسياق وراء الأهواء والإحساسات، وفى هذه اللحظة يشعر الفرد بأنه قد انفصل عن الوجود الخارجى وكذلك عن الوجود الذاتى.

ولهذا يميل هويدى إلى رأى الفيلسوف المعاصر كونسو الذى يرى أن التفكير الكلى كوعى بالذات ليس هو الإنتباه العلمى المصاحب لوجود الأشياء بل هو ذلك الإنتباه الذى يحس فيه الإنسان أنه لم يعد مجرد مشاهد للعالم، ولا حتى مجرد مشاهد لذاته بل يحس فيه بأنه بدأ يعمل فى مولد ذاته بل وفى ميلاد العالم كله. فالوعى عند كونسو نوع من التفكير الانتقالى المتطرف وفى نفس الوقت ليس هو التفكير المتعصب، إذ أن التفكير الانفعالى شحنة من الانفعال يشعر بها الفرد أنه مستعد للتضحية بالنفس، وأنه لن يتراجع عن موقفه وفكره وشعوره وانفعاله؛ ذلك الانفعال أو التفكير الذى تكون على استعداد أن تهلك دونه.